ترعة بناما وما أُنفق فيها

ادرجنا مقالة مسهبة في المقتطف منذ احد عشر شهرًا موضوعها ترعة بناما ومستقبلها. وقد جاءت حوادث الشهر الماضي مؤيدة لما اثبتناهُ هنالك من ضياع الاموال سدًى وزادت عليهِ انها كشفت القناع عن اساليب الغش والفساد التي أُنفق فيها جانب كبير من اموال العباد. وقد رأينا اتمامًا للفائدة ان نعيد بعض ما اثبتناهُ هنالك ونضيف اليهِ بعض ما ظهر من امر هذهِ الترعة حتى الآن فنقول

"خطر على بال كثيرين منذ عرف رسم اميركا ان يفتحوا ترعة توصل الاوقيانوس الاتلنتيكي بالاوقيانوس الباسيفيكي في احد البرازخ التي بين اميركا الشمالية والجنوبية. وقد أنفق احد الاميركيين سنة ١٨٥١ خمسة وعشرين الف جنيه على مسحها ليعلم اي برزخ منها اسهل لفتح هذهِ الترعة. والظاهر ان اول من اشار بخرق برزخ بناما اضيق هذه البرازخ هو المسيو ويس احد رجال البحرية الفرنصوية فانهُ عرض هذا المشروع على المؤتمر الجغرافي الذي التأم في باريس سنة ١٨٧٥ فوافقهُ البعض وألفوا لجنة برئاسة الجنرال تور المجري صهر المسيو ويس للبحث في ذلك فاقرّت اللجنة على ارسال جماعة من المهندسين لمساحة البرزخ برئاسة المسيو ويس. وعقد المسيو ويس اتفاقًا مع حكومة كولمبيا على فتح ترعة بناما وعاد الى باريس لتأليف شركة تقوم بهذا العمل الخطير ولما رأى الامر فوق طاقتهِ ولا قِبَل لهُ بهِ التجأ الى الموسيو ده لسبس فاتح ترعة السويس فجمع هذا مؤتمرًا في باريس في اواسط سنة ١٨٧٩ وقرّر فيهِ وجوب فتح هذه الترعة لعبور السفن على انواعها واخذ على نفسهِ القيام بهذا العمل العظيم واعطى المسيو ويس والجنرال تور وجماعتهُ اربع مئة الف جنيه قِبَل اتعابهم لعظيما لشأن العمل" فكان ذلك فاتحة النفقات الطائلة والاسراف الفاحش الذي جرّ الخراب والدمار على ملايين من الناس وجعل اسم ده لسبس مضغة في افواه الخاصة والعامة. "وقدّرت نفقات الترعة حينئذٍ بستة عشر مليون جنيه (اربع مئة مليون فرنك) قسمت الى ثمانمئة الف سهم كل منها عشرون جنيهًا ولكن لم يبع من هذه السهام حينئذٍ سوى ١٦٠ الف سهم"

"وعزم المسيو ده لسبس حينئذٍ على ان يزور برزخ بناما بنفسهِ قبلما في آخر سنة ١٨٧٩ واحتفل بالشروع في العمل في الخامس من يناير سنة ١٨٨٠. وهناك نهر اسمهُ نهر شغرس يطغو ماؤهُ في بعض السنين فيغمر الارض ويعلو عليها اقدامًا كثيرة وكان قد طغا في شهر

نوفمبر كانهُ انذر المسيو ده لسبس بخطارة العمل الذي اقدم عليهِ وصعوبتهِ ولكن المسيو ده لسبس لم ينتبه الى ذلك فجعل الاحتفال على ظهر البحر لانهُ لم يستطع ان يطأ الارض لانغمارها بالماء وكتب في الرابع عشر من فبراير سنة ١٨٨٠ يقول "ان النجاح اكيد واتم بشرفي ان العمل في برزخ بناما اسهل من العمل في صحراء السويس" وقد نسي ان صحراء السويس لم تخرق الاَّ بعرَق جباه المصريين ودماء قلوبهم وانهُ لو لم يُسَق فلاَّحو مصر سوق الاغنام الى فتح ترعة السويس لتعذر فتحها عليهِ وعلى ابناء جلدتهِ ولو انفقوا فيها اضعاف ما انفقوهُ

"ثم زار مدينة نيويورك وخاطب الحكومة الاميركيَّة في امر ترعة بناما فكان جوابها لهُ ان حكومة اميركا تعدُّ السلطة على كل برزخ يصل اميركا الشماليَّة بالجنوبيَّة من حقوقها وواجباتها . وقال رئيس الولايات المتحدة حينئذٍ "ان الذين ينفقون على فتح هذه الترعة يتوقعون ان مملكة من ممالك اوربا العظيمة تحمي مصالحهم فيها وتلك المملكة لا يمكنها ان تحمي هذه المصالح ما لم تستعمل وسائط في اميركا لا تجيزها الولايات المتحدة الاميركيَّة على الاطلاق" الاَّ ان المسيو ده لسبس تجاهل معنى رئيس الولايات المتحدة فارسل الى ابنهِ رسالة برقيَّة يقول فيها "ان كلام رئيس الولايات المتحدة يضمن لنا حماية الترعة سياسيًّا" . ثم عاد الى باريس وشرع في جمع المال على اساليب شتَّى واختلفت التقديرات لنفقات هذه الترعة فقدَّرها المسيو ويس ٤٢٧ مليون فرنك وقدَّرها مؤتمر باريس ١٠٤٤ مليون فرنك . وقدَّرتها لجنة ده لسبس ٨٤٣ مليون فرنك وقدَّرها ده لسبس نفسهُ ٦٥٨ مليون فرنك ثم خفض هذا التقدير وجعلهُ ٥٤٠ مليون فرنك وقال ان بعض المقاولين عرضوا عليهِ ان ينفذوها ويعملوا كل الاعمال اللازمة بخمس مئة مليون فرنك فقط اي عشرين مليون جنيه" وسيأتي انهُ أُنفق عليها ١٢٠٠ مليون فرنك ولم يحفر الاَّ جزءٌ صغير منها . "وأُغريت جرائد باريس حتَّى اخذت بناصرهِ فتقاطر الناس الى ابتياع السهام افواجًا وكان اكثر المبتاعين من الفرنسويين"

"وفي الحادي والثلاثين من يناير (ك ٢) سنة ١٨٨١ اجتمعت شركة فتح الترعة اجتماعًا عامًّا فرفع اليها المسيو ده لسبس تقريرًا مسهبًا قال فيهِ "ان كل المسائل قد حلَّت وكل المصاعب قد تمهَّدت" ثم قدَّر ان النفقة لا تزيد على خمس مئة مليون فرنك اي عشرين مليون جنيه . وان الترعة ستفتح لعبور السفن سنة ١٨٨٧ . وبعد اربع سنوات قال انها لا تفتح قبل سنة ١٨٨٨ وبعد سنتين قال انها لا تفتح قبل سنة ١٨٨٩ وبعد سنتين اخريين قال انها ستفتح سنة ١٨٩٠ . ويمكننا ان نقول الآن انها لن تفتح في هذا العصر وقد لا تفتح مدى الدهر"

"واذا زار الانسان ترعة بناما الآن يعجب من تبذير الشركة في اقامة المباني الفاخرة لمستخدميها كما يعجب من قداحة رواتبهم فان المدير العام كان يأخذ عشرين الف جنيه في السنة. والآلات والادوات تفوق الحصر والوصف ويقال ان السفن كانت تصل الى هناك محملة بالادوات وحينما تعاق عن تفريغها تطرحها في البحر لكي لا تحمل الشركة اجرة بقائها في السفن"

"وسنة ١٨٨٨ كان عند الشركة ١١٠ ملايين فرنك نقدًا ثم قبضت ٢٦٦ مليون فرنك والجملة ٣٧٦ مليون فرنك او اكثر من ١٥ مليون جنيه ولم يمض مدة طويلة حتى دفعت من ذلك ٢٤٠ مليون جنيه فبقي عندها ٣٦ مليون فرنك لاغير او نحو مليون ونصف من الجنيهات اي نفقات شهر من الزمان ومع ذلك بقيت تصدر القراطيس وتبتز الاموال من اصحابها الى ان عجزت عن دفع اجور المستخدمين وابطلت العمل تمامًا في اواخر سنة ١٨٨٩"

هذا ملخص ما ذكرناهُ منذ احد عشر شهرًا وقد انكشف القناع في الشهر الماضي وما قبلهُ عن امور يشيب لها الولدان فثبت ان شركة بناما كانت ترشي الجرائد ورجال الحكومة بالاموال الطائلة فضلاً عما يختلسهُ رجالها وقد ذكرت جريدة ليبر بارول الفرنسويّة اسماء بعض الجرائد الفرنسويّة التي نالها النصيب الوافر من تلك الاموال وهي

جريدة بتي جرنال	٥٠٤٨٨٧	فرنكًا
" اللانترن	٣٠٦٠٠٠	"
" الفلوى	١٨٩٠٠٠	"
" لاجنيس	١١١٥٠٠	"
" لوسوار	١٠٧٧٠٠	"
" ربيليك فرانسز	١٠٦١٠٠	"
" الرابل	٠٩٨٧٥٠	"
" الفرن التاسع عشر الفرنسويّة	٠٩٣٠٠٠	"
" فولتر	٠٨٨٦٦٦	"
" البتي باريزيان	٠٨٨٠٠٠	"
" البكل	٠٨٤٠٠٠	"
" باري	٠٨١٤٥٠	"
" راديكال	٠٧٧٨٠٠	"

جريدة لايي	٠٤٠٠٠٠	فرنكًا
" صدى باريس	٠٤٠٠٠٠	"
" الاونيفر	٠٣٤٤٥٠	"
" الاستافت	٠٣١٠٠٠	"
" السوليل	٠١١٠٠٠	"

وقرّر احد مستلمي دفاتر الشركة انها انفقت ١٤٠٠ مليون فرنك في السبل الآتية وهي

لتأسيس العمل والتصميم عليهِ	١٧٥	مليون	فرنك
لاخذ الرخصة ومعاضدة الحكومة	٠٦٤	"	"
اجرة الاعلانات ومطبوعات مختلفة	٠٨٨	"	"
ثمن آلات وادوات للعمل	١٦٦	"	"
للمقاولين	٤٤٣	"	"
ثمن سكة بناما الحديديّة	٠٩٣	"	"
لاصحاب الاسهم والنصيب	٣٧١	"	"

والجملة ١٤٠٠ مليون فرنك اي اثنان وخمسون مليونًا من الجنيهات ابتُزّت من اموال العباد ولم ينتفع بها سوى نفر قليل من الذين كانوا في غنًى عنها . وفيما نحن نكتب هذه السطور جاءنا تلغراف رونتر من باريس يقول ان المدّعي العمومي فيها طلب ان يحكم حكمًا صارمًا على المتهمين في مسألة بناما المختلسين والراشين والمرتشين وفي جملتهم المسيو فرديننند ده لسبس لانهم كانوا سببًا في خراب ملايين من العملة فان ثلاثة اخماس الاموال التي اكتتبوا بها انفقت على وجه غير شرعي وهذا آخر ما اتصل بنا من امر هذه الترعة

ولا يمكن للانسان ان ينظر الى هذه المسألة الاّ و يعجب من ضعف الفطرة البشريّة ومن سير العمران الاوربي الذي لم ترتقِ آداب النفس فيهِ ارتقاء قوى العقل فان الرجل الذي لم يتعذر عليهِ خرق برزخ السويس واقناع حكومة مصر بمساعدتهِ بالوف من رجالها ولا تعذر عليهِ جمع الف وثلثمئة مليون فرنك من اموال الفقراء والايتام تعذر عليهِ هو واتباعهُ ان يحفظوا هذه الاموال و ينفقوها كلها في طرق الحلال وجاراهم في ذلك كثيرون من رجال الحكومة ونواب الامة وارباب الصحف . فعلى الساعين في نشر العمران ان يسعوا في بث الفضائل قبل نشر المعارف